مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 08 (01) جـوان 2024 ص ص 343-362

الجهود اللغوية لمصطفى غلفان في تقديم الدرس اللغوي الغربي للقارئ العربي - كتابه اللسانيات العامة نموذجا –

Linguistic efforts of mustafa ghulvan in presenting western linguistic lessons to the arab reader
- his book general linguistics as model-

باهي نورة [1]* ؛ مصطفاوي جلال [2]

[1] مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث - جامعة عين تموشنت (الجزائر).

البريدي الالكتروني المهني: noura.bahi@univ-temouchent.edu.dz

[2] جامعة عين تموشنت (الجزائر).

البريدي الالكتروني: zourba1976@live.fr

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2023/12/01	2024/04/21	2024/06/01

الملخص: تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء حول الجهود اللغوية لمصطفى غلفان وبيان مدى مساهمته في تقديم الدرس اللغوي الغربي للقارئ العربي وبيان أسسه ومنهجه وأهم مبادئه والكشف عن ملابسات انتقاله الى الثقافة العربية،من خلال قراءة وصفية لمؤلفه "في اللسانيات العامة تاريخها وطبيعتها وموضوعها ومفاهيمها" نموذجا للدراسة. فبعد هيمنة النظرية اللسانية الحديثة على الدرس اللغوي الغربي تحت قيادة أفكار "دي سوسير" حدثت تغيرات جذرية على مستوى الموضوع والمنهج والغاية، فتحولت الدراسات اللغوية الحديثة نحو دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها دراسة وصفية موضوعية، أصبح لازما على الدراسات اللغوية العربية مواكبة هذه التطورات ومسايرتها، ومن ثمة نقلها وفتح الابواب لها لتلج الى الثقافة العربية فكان مصطفى غلفان أحد هؤلاء الباحثين اللسانيين العرب الذين حاولوا تتبع اللسانيات الغربية منذ نشأتها الى غاية مراحل تطورها.

الكلمات المفتاحية: *لسانيات؛ لغة ؛ مصطفى غلفان ؛ وصفية ؛ بنيوية*

Abstract: This study aims to shed light on the linguistic efforts of Mustafa Ghulvan and his contribution to presenting Western linguistic lessons to the Arab reader, explaining his foundations, methodology, and main principles, and uncovering the

* **المؤلف المرسل**

circumstances of their transition to the Arab culture through a descriptive reading of his work "General Linguistics: Its History, Nature, Subject, and Concepts" as a case study. Following the dominance of modern linguistic theory in Western linguistic studies under the leadership of "de Saussure," radical changes occurred at the level of subject matter, methodology, and purpose, transforming modern linguistic studies towards an objective, descriptive study of language for its own sake. It became necessary for Arabic linguistic studies to keep up with these developments, embrace them, and subsequently introduce them, opening doors for them to enter the Arab culture. "Mustafa Ghulvan" was one of those Arab linguists who tried to trace Western linguistics from its inception through its developmental stages.

Keywords: *Linguistics; Language; Mustafa Ghulvan; Descriptive; Structural development.*

مقدمة:

مصطفى غلفان هو عالم لغوي عربي متميز معروف بإسهاماته الكبيرة في سد الفجوة بين القراء العرب واللسانيات الغربية،من خلال كتاباته التي تسلط الضوء على أصول اللسانيات ومفهومها بالإضافة إلى أبرز مدارسها واتجاهاتهامعتمدا في ذلك على منهج الوصف والتحليل بأسلوب بسيط لجذب الباحثين والمهتمين باللسانيات سواء كانوا باحثين أم غير ذلك. وحاول مصطفى غلفان تصنيف المناهج المتبعة في تأسيس اللسانيات العربية الحديثة حيث تساءل عن قضية تعدد المناهج،إذ نجد كل باحث يعتمد على منهجين لغويين او أكثر في مسيرته العلمية والبحثية، فأصبح المنهج لا يتعدد بتعدد الباحثين اللغويين وحسب، بل أصبحت الجهود اللغوية لمصطفى غلفان نقطة التقاء لكل باحث متخصص في مجال اللسانيات الذي يسعى لفهم هذا العلم الحديث والتخصص فيه. في هذه الورقة البحثية سنستعرض هذه الجهود من خلال أعماله العلمية التي تهدف إلى وصف اللسانيات العامة وتعريف مناهجها، بهدف تقريبها للقارئ العربي. ويمكن للقارئ الذي يطلع على مؤلفاته أن يلاحظ أنه يتتبع اللسانيات العامة منذ بدايتها ويحاول تحديد طبيعتها في كتابه "في اللسانيات العامة"، بالإضافة إلى تسليط الضوء على اتجاهاتها في كتابه "اللسانيات البنيوية: منهجيات واتجاهات"، وكذلك في مؤلفه حول اللسانيات التوليدية. وصلت هذه الجهود إلى الثقافة العربية، حيث قام بتصنيف اتجاهاتها ومناهجها في كتابه

"اللسانيات العربية: حفريات النشأة والتكوين".ومما سبق سيحاول الباحثان الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي: **ما هي أهم الجهود اللغوية لمصطفى غلفان التي ساهمت في تقديم الدرس اللغوي الغربي للقارئ العربي؟** وذلك من خلال دراسة وصفية وتحليلية لكتابه الموسوم بعنوان:"في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها". (غلفان، 2010).

1. الأبعاد الرئيسية لعنوان الكتاب:

1.1. تاريخ اللسانيات العامة: تناول الكتاب التطور التاريخي للسانيات العامة انطلاقا من الفترات الاولى حتى العصر الحديث.

2.1. طبيعة اللسانيات العامة: استعرض الكتاب الخصائص الأساسية للسانيات العامة وكيف تتميز عن العلوم الأخرى.

3.1. موضوع اللسانيات العامة: تناول الكتاب الامور الاساسية التي تهتم بها اللسانيات العامة مثل اللغة الطبيعية أو اللغة البشرية.

4.1. مفاهيم اللسانيات العامة: قدم الكتاب تعريفات واضحة للمفاهيم الأساسية في اللسانيات العامة، ويمكن القول ان الكتاب بصفة عامة يهدف إلى تقديم نظرة شاملة ومعمقة للسانيات العامة بطريقة مبسطة ومفهومة عند القارئ العربي.

2.الباب الأول في الكتاب بعنوان: " اللّغة في بعدها الانساني"

ناقش غلفان في الباب الأول من كتابه العديد من القضايا اللغوية تحت عنوان "اللغة في بعدها الانساني" فعرج للحديث عن طبيعة اللغة وماهيتها النفسية والاجتماعية، فقد تعددت التعريفات المصاغة للغة إلا أنها تبدو غير قادرة على الإحاطة بجوهر اللغة وأبعادها الفردية والجماعية، "إن أصل اللغة عند الفرد نابع من طبيعته الاجتماعية التي تلازمه ومن حاجته إلى التواصل مع الغير" (غلفان، 2010، صفحة 10).

ان اللغة تعبر عن شرط إمكان وجود الانسان والإنسانية كما عرفها بقوله:"وسيلة للتواصل والتعبير عن الأفكار" وكذلك بقوله: "نظام من العلامات لنقل الأفكار" (غلفان، 2010، صفحة 11). لقد سعى غلفان في الفصول الثلاثة الاولى من كتابه الى تقديم تعريف اللغة وما يحيط بها ويحدد طبيعة مكوناتها وأبعادها النفسية والاجتماعية والرمزية والثقافية.

3. الباب الثاني بعنوان: " اللسانيات تاريخ وتطور"

معلوم لدى الباحثين والمتتبعين لمجال اللسانيات العامة أنه علم حديث النشأة وهذا ما أشار اليه صاحب المؤلف إذ شغل الرأي العام والخاص بما أحدثه من تغييرات جذرية وتحولات فكرية وحضارية في حقل العلوم الانسانية بعد الثورة المعرفية الهائلة التي أدت الى قلب الموازين في القرن العشرين 20م، فقوضت كل الأسس المعمول بها لما هاجمت المناهج القديمة بترسانة فكرية ولغوية خالفت ما ألفه الباحثون من قبل، فكان لازما علينا طرح عدة تساؤلات تتعلق بدلالة مصطلح اللسانيات وتاريخها؟ هذا المصطلح الغربي الدخيل عن اللغة العربية وما هي الاسس المعرفية لهذا العلم الجديد؟ وما هي مراحل تتطوره؟ وهذا يقتضي على الباحث اللغوي العودة الى البدايات الاولى لظهور هذا العلم والبحث في الملابسات والعوامل المساعدة على ظهوره وانتشاره،وعليه فإن عملية التأريخ لمثل هذه العلوم تقتضي تمكن المؤرخ نفسه من الاسس المعرفية والمنهجية وامتلاكه الارضية العلمية والمعرفية المساعدة على تتبع مسار هذا العلم منذ نشأته الى غاية مراحل تتطور. فقد حرص غلفان في إعداد مؤلفه على الجمع بين عمق الطرح وبساطة التقديم والجمع بين المتابعة التاريخية والتقديم الوصفي العام للقضايا اللسانية العامة من جهة والمفاهيم النظرية والإجرائية من جهة ثانية مراعيا في ذلك كله أسلوب التبسيط والتوضيح والتمثيل حتى يتسنى للباحث اللساني والمطلع عليها الولوج الى نواة هذا العلم الفَتى (غلفان، 2010، صفحة 204). ويرى غلفان ان الحديث عن اللغة وما يتعلق بها من

قضايا لغوية ومعرفية مختلفة ليس شيئا جديدا في الفكر الإنساني فهو قديم قدم اللغة نفسها (غلفان، 2010، صفحة 87)، وعليه فاللسانيات لا تمثل سوى جزء خاص من التفكير اللغوي الممتد عبر التاريخ والحضارات الانسانية الكبرى فهي فكر له سماته وخصوصياته التي تميزه عن غيره (سعيدي، 2019، صفحة 141). وقد سبق الاشارة الى صعوبة التأريخ للعلوم وما يشترط توفره في المؤرخ اذ يعترف غلفان نفسه عن صعوبة ذلك وان البحث في تاريخ العلوم ليس بالمسألة الهينة (غلفان، 2010، صفحة 91)، اذ يرى ان العلوم لا تنشأ بين عشية وضحاها بل إنها مجموعة من المراحل المتفاعلة يأخذ بعضها من بعض فهو يصف هذا التطور لنشأة العلم بـــ "استمرارية العلم وتطوره"، فقد ذكر جورج مونان (Georges Mounin) إن مصطلح اللسانيات ظهر لأول مرة في اللغة الفرنسية بينما أول من استعمل كلمة لساني هو Rinouard سنة 1816م في مؤلفه "مختارات من شعر التروبادور Trobadeurs "، ومن المعروف كذلك أن اللسانيات العامة لم تصبح علما قائما بذاته إلا في بداية القرن العشرين مع محاضرات اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير في الفترة الممتدة ما بين 1906 و1911م على أبعد تقدير مع نشرها سنة 1916م على يدي تلاميذه شارل بالي وسيشهاي (غلفان، 2010، صفحة 94)، وعليه فإن القول بظهور اللسانيات على يد دي سوسير فقط يعني إلغاء قرون طويلة من النشاط اللغوي القديم المرتبط بحضارات مختلفة هندية ويونانية وعربية، إضافة إلى الجهود اللغوية لفترة ما بعد النهضة الأوروبية، وبهذا فإن اللسانيات لا تشكل سوى جزء خاص من التفكير اللغوي المحدد عبر التاريخ (غلفان، 2010، صفحة 94). وفي سياق أخر يُشير جورج مونان الى هذه القضية في بعدها التاريخي والمعرفي مع ما تطرحه مسألة نشأة اللسانيات من اختلافات جوهرية لتحديد تاريخ اللسانيات نفسها، فنجده يقول: "يختلف تاريخ اللسانيات بحسب وجهة النظر التي قد يتخذها الباحث وعليه فإن اللسانيات قد تكون نشأت حوالي القرن الخامس قبل الميلاد"،وهنا نشير الى اللغوي الهندي الشهير بانيني

panini او مع بوب Bopp سنة 1816م او مع دي سوسير سنة 1916م او مع تروبتسكوي سنة 1926م او مع تشومسكى سنة 1956م.

وفي اشارة منه الى مراحل تطور اللسانيات يقول غلفان "يُعتبر دي سوسير" في نظر مؤرخي الفكر اللغوي بالإجماع الأب الروحي للسانيات والمؤسس لها بوصفها علما مستقلا"،رغم أنه لم يكن مقتنعا بالآراء التي تبناها رواد المنهج التاريخي في دراسة اللغة خلال العقدين الاخيرين من القرن19م لكنه لا يرفض أبدا الاعتراف صراحة بقيمتهم وأهميتهم،فهو لم ينكر القيمة العلمية لأسلافه من يونان ومقارنين وتاريخيين بل اعترف بفضلهم وجهودهم في تطوير الدرس اللغوي الحديث،معتبرا ان الفيلولوجيا مهدت للسانيات التاريخية وان اعمال النحاة المقارنين والتاريخيين كانت خطوة حاسمة في تاريخ اللسانيات فما هي إلا استمرار لمراحل لغوية سابقة حددها في ثلاثة مراحل اساسية وهي: (غلفان، 2010، صفحة 97):

الجدول رقم 01: مراحل تتطور علم اللسانيات

النحو grammaire	بدأه اليونان وأكمله الفرنسيون مع " بور رويال، ق17م وهو قائم على المنطق، إنه ممارسة معيارية
الفيولوجيا La fhilogie	بدأت في الإسكندرية خلال القرن الثالث ق م
النحو المقارن او الفيلولوجيا la fhilolgieco	بدأت هذه المرحلة مع فرانز بوب. **From p**

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على (غلفان، 2010)

يبين الجدول رقم 01: أن علم اللسانيات تطور عبر مراحل مختلفة. بدأ بالنحو الذي بدأه اليونان واستكمله الفرنسيون، ويرتكز على المنطق والتحليل المعياري للغة. ثم جاءت الفيلولوجيا التي بدأت في الإسكندرية وتركز على دراسة التطور التاريخي للغات. وأخيرًا، النحو المقارن أو الفيلولوجيا المقارنة التي تهتم بدراسة القوانين والعلاقات العامة بين اللغات المختلفة وتطورها عبر التاريخ.ان المتتبع لأعمال رائدي اللسانيات دي سوسير وتشومسكى يلاحظ أن أعمالهما التي شكلت محطة تحول كبري او قطيعة إبستيمولوجية

في تاريخ الفكر اللغوي كما يقال: فاللسانيات البنيوية والتوليدية التحويلية على اعتبارهما تصورات جديدة احتفظت بالإرث المصطلحي والمفاهيمي منذ الفكر اللغوي اليوناني اذ عملت اللسانيات الحديثة على تغيير أساليب ضبطها وتحديدها من الناحية الشكلية والإجرائية وعلى الرغم من هذا لا يمكننا انكار القطيعة مع الفكر اللغوي القديم والتي تتجلي في المتطلبات الجديدة التي طرحتها اللسانيات من حيث موضوعها ومنهجها. لقد أثبتت اللسانيات أنها نموذج فريد في تاريخ العلوم يصعب علينا الحديث عمليا عن كونها تشكل قطيعة تامة مع تاريخها ام انها استمرار له؛ إنها استمرار وقطيعة في الوقت ذاته. (غلفان، 2010، صفحة 100). ونختم حديثنا في هذا الباب بذكر أقسام مراحل نشأة اللسانيات والتي قسمها كاتبنا الي أربعة مراحل خصص لكل مرحلة منها فصلا كاملا سنحاول إيجاز ذكرها كالأتي:

الجدول رقم 02 : أقسام مراحل نشأة اللسانيات

المرحلة التوفيقية	يتم تحديدها زمنيا في الفترة الممتّدة من «القرن 10م قبل الميلاد إلى حدود منتصف القرن 18م وقد أشار غلفانان هذه الفترة شملت جل المساهمات اللغوية من " سومريين وأكاديين ومصرين وهنود ويونان وصولا الى العرب وقد أطلق عليها تسميت التوفيقية لأنها كانت في نظره توفق بين البحث في اللغة وقضايا فكرية أخرى» (غلفان، 2010، صفحة 109)
المرحلة المقارنة والتاريخية	والتي تنقسم الى قسمين **أولا: اللسانيات المقارنة linguistique comparative**: ويطلق عليها " الفيولوجيا المقارنة" **"Comparative philologie** والنحو المقارن فقد هيمنت على الحقبة الزمنية الممتدة من بدايات القرن 19م الي نهايته بل هناك من يرى أنها تنقسم الى فترتين متميزتين: هما مرحلة النحو المقارن، ومرحلة النحو التاريخي وهناك من ذهب الى ان المرحلة بأسرها مرحلة واحدة تنشطر الى لحظتين (غلفان، 2010، صفحة 141)
	ثانيا: اللسانيات التاريخية:"linguistique historique" ترجع اصول هذه الدراسة حسب قول:"مصطفى غلفان" إلى المفكر الألماني همبولدت ابتداء من سنة 1875 حيث يُعد رائدها بدون منازع (غلفان، 2010، صفحة 165) سميت بالمرحلة التاريخية لأنها " اعتمدت المنهج التاريخي الذي يجعل قوامه التحليل التاريخي (غلفان، 2010، صفحة 150).
المـــرحلة الوصـــفية	تعتبر المرحلة الوصفية صميم الدراسة في المدارس اللسانية الحديثة وهي ما يعرف " باللسانيات الوصفية " التي بدأت مع دي سوسير في نهاية القرن 19 م وهي دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها باعتبارها بنية مستقلة (غلفان، 2010، صفحة 108).
المـــرحلة التفسيـــرية	وهي المرحلة اللسانية التي رسم نوام تشومسكى ملامحها ابتداء من سنة 1957متاريخ نشر كتابه " البنى التركيبية " **"structures syntaxiques"** في محاولة لتجاوز منهج اللسانيات البنيوية (غلفان، 2010، صفحة 109).

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على (غلفان، 2010)

يتبين من الجدول02: مراحل نشأة اللسانيات وأقسامها بشكل موجز على النحو التالي:

1.3.المرحلة التوفيقية: تمتد من القرن العاشر قبل الميلاد حتى منتصف القرن الثامن عشر. تتضمن مساهمات لغوية من مختلف الحضارات مثل السومريين والأكاديين والمصريين والهنود واليونانيين والعرب. تميزت بتوفيق البحث في اللغة مع القضايا الفكرية الأخرى.

2.3. المرحلة المقارنة والتاريخية:

1.2.3. اللسانيات المقارنة: تهتم بدراسة القوانين والعلاقات العامة بين اللغات المختلفة التي هيمنت على الفترة من بداية القرن التاسع عشر حتى نهايته.

2.2.3. اللسانيات التاريخية: تهتم بدراسة التطور التاريخي للغات. رائدها هو المفكر الألماني همبولدت بداية من عام 1875م.

3.3. المرحلة الوصفية: الدراسة المركزية في المدارس اللسانية الحديثة التي تهتم بدراسة اللغة لذاتها وبنيتها المستقلة. بدأت مع دي سوسير في نهاية القرن التاسع عشر.

4.3. المرحلة التفسيرية: تم تبنيها بعد عام 1957م بواسطة نوام تشومسكي. تسعى لتجاوز منهجيات اللسانيات البنيوية وتركز على تفسير اللغة وهياكلها النحوية.

4.الباب الثالث بعنوان: " تحديد مفهوم اللسانيات ومجالها "

حرص غلفان في هذا الباب على ضبط مصطلح اللسانيات وماهيتها ومجالاتها والتمييز بينها وبين " علم اللغة " "Science du Langage" اذ يرى غلفان ان هذه العبارة يعتريها الكثير من الغموض فهي عبارة شاملة تضم كل العلوم التي تتناول اللغة بطريقة خاصة فاللغة بمعناها العام ليست من اختصاص اللسانيات لوحدها بل هي مشتركة بين مجالات مباحث علوم أخرى مثل علم الفيزياء الذي يدرس أصوات اللغة دراسة علمية والأمر يصدق كذلك على علم النفس والرياضيات بغض النظر عن موضوعها من حيث الوسائل المستعملة ومن حيث الغاية والأهداف ويعتقد غلفان ان سبب هذا الخلط يعود الي

التعريفات العامة التي عُرفت بها اللسانيات (غلفان، 2010، صفحة 193)، فاللسانيات Linguistique: "هي العلم الذي يدرس اللغة الانسانية دراسة علمية تقوم على الوصف الموضوعي ومعاينة الظواهر اللغوية بعيدا عن النزعة التعميمية والأحكام المعيارية" (هيام كريدية، 2008، صفحة 11).

فاللسانيات اذن هي: الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري ويتساءل غلفان أين تتجلى هذه العلمية؟ وهذه الموضوعية؟ ويُقصد بالعلمية هنا الدراسة التي تستخدم الأسلوب العلمي (حساني، 2013، صفحة 24)، أما الموضوعية فيقصد بها طريقة العقل في التعامل مع الاشياء والحقائق كما هي موجودة مبتعدا عن الذاتية، فالدراسة العلمية للغة هي تطبيق أسس المنهج العلمي على الظاهرة اللغوية القائم على التجربة والاستقراء والتحليل (حساني، 2013، صفحة 24). حيث تقوم العلمية على ثلاثة قواعد وهي الشمولية Exhaustivité والتماسك Cohérence والاقتصاد Economico. ولا يكتمل الحديث عن اللسانيات الحديثة ومناهجها وتطور تصوراتها وتفرعها إلى مدارس واتجاهات من دون استحضار دور اللساني السويسري فردينان دي سوسير في المسار الذي قطعته اللسانيات حتى أصبحت نموذجا له قيمته النظرية والمنهجية البارزة (غلفان، 2010، صفحة 208). ويطلق على المرحلة التي اجتازها الدرس اللغوي مع دي سوسير المرحلة الوصفية البنيوية ففي سياق الاهتمام المتزايد بالمناهج ودورها في المعرفة العلمية شكلت المنهجية البنيوية المستمدة من لسانياته محاولة جادة لجعل اللسان محل دراسة علمية موضوعية دقيقة. ان الحديث عن البنيوية كمنهج عام له أسسه النظرية والمنهجية في اللسانيات الحديثة أفرز العديد من التساؤلات المنهجية التي صاغها المؤلف (غلفان، 2010، صفحة 249)، على النحو الاتي **من أين نبدأ الحديث عن المنهج البنيوي؟** محاولا تحديد البنيوية في إطارها المعرفي العام، لقد كان للسانيات الحديثة دور هام في انبثاق المنهج البنيوي فقد جعل دي سوسير موضوع **اللسانيات** قاعدة أساسية في التفكير

اللساني الحديث. وتُعد أفكار دي سوسير ومن جاء بعده في القرن 20 م أعظم مساهم في تطوير العلوم الانسانية بصفة عامة. فلم تعد المنهجية البنيوية تقتصر على المجال اللساني وحده بل تُـــبنين كل شيء. فهي تبنين المجتمع واللاشعور والثقافة والادب والفكر والسينما والمسرح والمطبخ واللباس والاعلانات الاشهارية وكل مرافق الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية (غلفان، 2010، صفحة 215). ونظرا لكونها منهجا غير محدود بات من الخطأ الاعتقاد بوجود تيار بنيوي متجانس او مذهب فكري موحد،ومرد ذلك الى تعدد الرؤى وتعدد الادوات وتعدد المفاهيم والمصطلحات وتعدد في التطبيق والتحليل كذلك وعليه تعدد في المواقف والنتائج. لذلك يصعب تحديد الخصائص العامة للمنهجية البنيوية ولو اقتصر الامر على مجال معرفي واحد كاللسانيات، فليس هناك منهجية بنيوية واحدة لكن نقر بوجود بنيويين لكل منهم شخصيته واصالته (غلفان، 2010، صفحة 246).

بات التسليم بعبقرية دي سوسير وحسه العلمي المتميز وخصب أفكاره وريادة تصوراته من المسلمات التي يقر بها كل باحث لساني، فقد فتحت المحاضرات السوسيرية الباب أما تطور نظري مذهل للسانيات والعلوم الانسانية كافة، فقد قام مفهوم دي سوسير لموضوع اللسانيات على تصور جديد للظاهرة اللسانية من خلال تقديمه لما عُرف بـــالثنائيات السوسيرية الشهيرة ويمكن الحديث عنها كما قدمها مصطفى غلفان في كتابه.

1.4 ثنائية اللسان والكلام: فرق دي سوسير بين ثلاث مصطلحات أساسية في الدرس اللساني وهي (قدور، 2007، صفحة 23):

1.1.4. اللغة language: وهي ظاهرة إنسانية لها أشكال كثيرة، تنتج الملكة اللغوية.

2.1.4. اللسان Langue: هو جزء معين متحقق من اللغة بمعناها الإنساني الواسع وهو اجتماعي ومكتسب.

الكلام Parole: هو شيء فردي ينتمي إلى اللسان إن هذه الثنائية تحديدا تقودنا الى التساؤل عن كيفية التحول من ثلاثية {لغة /لسان/كلام} الى ثنائية {لسان /كلام} وهل نتحدث عن ثنائية {لغة / كلام} او ثنائية {لسان /كلام} عندما انصرف دي سوسير الى وضع أرضية علمية للنظرية اللسانية تبين له ان للغة البشرية متعلقة في حقيقة الامر بثلاث مفاهيم هي: اللغة واللسان والكلام. لقد فرق دي سوسير بدقة بين الثنائي الذي كان مترادفاً عند علماء اللّغة التّقليديّين وهو اللّغة والكلام ثم أضاف اللّسان معتبراً أن " اللّغة هي الملكة اللّسانيّة المتمثلة في القدرات التي يمتلكها الإنسان وهي تميزه عن الكائنات الأخرى" (عبد الجليل، 2002، صفحة 226). وفي هذا يقول دي سوسير "لا ينبغي الخلط بين "اللغة" و"اللسان" فما اللغة إلا الجزء محدد منه بل عنصر أساسي وفي الوقت نفسه نتاج اجتماعي لتمكين الافراد من ممارسة هذه الملكة، وإذا نظرنا الى اللسان ككل فإننا نجده متعدد الجوانب ومتغاير الخواص ولأنه يمتد في غير اتساق الى أصعدة مختلفة في ان واحد منها الفزيائية والفيزيولوجية والسيكولوجية فانه ينتمى في الوقت نفسه الى المجتمع ولأنه ليس بإمكاننا اكتشاف وحدته فلا نستطيع إذن تصنيفه في اية فئة من الوقائع البشرية (مومن، 2005، صفحة 123). ويمكننا القول من خلال هذا الرأي، إن **اللّغة** هي قدرة بشرية موجودة عند جميع الناس تمكنهم من التواصل فيما بينهم، وتميّز الإنسان باعتباره كائن عاقل يملك هذه القدرة عن غيره من الكائنات الأخرى" كما درس دي سوسير اللّغة لا على انها مجموعة من الكلمات وانما على اساس انها كل قد تركب من مجموعة من العناصر تربطها علاقة، تجعل العناصر لا معنى لها في ذاتها وإنما معناها في ارتباطها ببعضها وكل تغيير يصيب عنصر منها يظهر أثره على سائر العناصر بل على النظام كله " (لوشن، 2000، الصفحات 307-308)، فاللغة في نظر دي سوسير واقعة اجتماعية وخصوصياتها ليست مجردة بل متواجدة بالفعل في عقول الناس (مومن، 2005، صفحة 123). اذن فاللغة هي تلك القدرة التي يمتلكها الانسان ويتميز بها عن

الاخرين أما **اللسان** فهو عبارة عن نظام تواصلي الذي يمتلكه كل فرد متكلم مستمع مثالي ينتمي الى مجتمع له خصوصيات ثقافية وحضارية معينة (حساني، 2013، صفحة 37)، ومن هنا تختلف اللغة عن اللسان بكونها نضام– system - محكم وقائم على التضامن بين مختلف أجزائه المكونة له بحيث ان قيمة الجزء الواحد منه لا تظهر او تتم الا باقترانه مع الكل، اما **الكلام** فهو الاستعمال الملموس للغة من طرف أحد اعضائها بهدف التبليغ او التفاهم مع غيره (زبير ، 1990، صفحة 71). إذن فالكلام هو الانجاز الفعلي للغة في الواقع او هو ما يمثله كلام الفرد (خرما، 1978، صفحة 107).على الرغم من الفروقات الموجود بين اللسان والكلام فإن الموضوعين متصلان وصلتهما وثيقة جدا، اذ أن أحدهما يقتضي وجود الاخر (زبير ، 1990، صفحة 71). وبعد تمييز دي سوسير بين اللّغة والكلام، ذهب إلى الحديث عن اللّسان حيث عرفه بقوله:" هو عبارة عن نسق من القواعد النحوية الموجودة بالقوة في كل دماغ، أو بالضبط في أدمغة مجموعة من الأفراد، لأن اللّسان يوجد عند كل فرد ناقصاً، ولا يوجد كاملاً إلا عند الجمهور" (فرديناند، 2008، صفحة 28)، وهو يقصد بذلك ان اللّسان نظام نحوي يمتلكه مجموعة من الأفراد الذين ينتمون إلى مجتمع لغوي واحد له خصوصياته الثقافية والحضارية كأن نقول مثلاً: اللّسان العربيّ – اللّسان الفرنسيّ – اللّسان الإنجليزيّ...إلخ، كما أشارت شفيقة العلوي الى هذا المفهوم بتحديد دي سوسير للسان في هذه الصيغة: اللسان = اللغة – الكلام (العلوي، 2002، صفحة 08). ونخلص الى ان سوسير ميز بين ثلاث ملكات وهي ملكة طبيعية ويقصد بها "اللغة" وملكة اجتماعية ويقصد بها "اللسان" وملكة فردية ويقصد بها "الكلام"هنا تحديدا نجد أنفسنا أمام ثلاثية وليس ثنائية والجواب نجده عند (فرديناند، 2008، صفحة 25)، والذى قال فيه ان اللغة بوصفها ملكة طبيعية وهي ظاهرة إنسانية وملكة وقدرة فطرية للإنسان فهي تتميز بتعدد عناصرها فهي غير متجانسة في ذاتها فهي موضوع تتناوله معارف انسانية متعددة فيزيائية ونفسية فهي بذلك مجال واسع يجمع بين

ما هو فردي وما هو اجتماعي، بينما لسانيات سوسير تنتهج سياسة الفصل بين ما هو فردي وبين ما هو اجتماعي لان الخلط بينهما يجعل تصنيف اللغة ووصفها وتحليلها أمرا صعبا بل مستحيلا والباحث اللساني عليه تناول اللغة من جانب واحد ومن وجهة نظر واحدة لذلك اختزل سوسير الثنائية الى"لسان / كلام" وذلك لان اللغة هي ما تقدم لنا الثنائية المكونة من "اللسان والكلام" وتجدر بنا الاشارة هنا الى انها عملية اختزال وليست اقصاء او اهمال كما ورد عند البعض.

2.4 ثنائية الدال والمدلول: نتفق جميعا على ان الاستماع الى اسم معين يحيلنا مباشرة الى شيء او مرجع، فكلمة قلم على سبيل المثال تحيلنا الى القلم الموجود في الواقع.

{اسم} ⟸ شيء {مرجع}

ننطلق من هذا المفهوم الشائع الى شرح ثنائية الدال والمدلولولكن بشكل أكثر دقة فعندما نتكلم عن ثنائية الدال والمدلول فنحن نتكلم عن العلامة اللسانية عند سوسير ولنتمكن من فهم هذه المفاهيم جيدا علينا أولا ان نتخلى عن المفاهيم السابقة التي انطلقنا منها لان العلامة اللسانية عند سوسير لا تربط اسم بشيء وإنما تربط صورة سمعية بصورة ذهنية.

صورة سمعية ⟸ صورة ذهنية {مفهوم}

ان الحديث عن ثنائية الدال والمدلول كما سبق لنا الذكر يقودنا رأسا الى الحديث عن مفهوم العلامة اللسانيةوالتي يقصد بها في نظر دي سوسير الوحدة الأساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين وتضم جانبين أساسين هما **الدال والمدلول** فالدال: هو الصورة السمعية التي تدل على شيء ما او تعنى شيئا ما . والمدلول: هو التصور اي مجموع السمات الدلالية (مومن، 2005، صفحة 127)، إذن فالعلامة اللسانية عند سوسير لا تربط اسم بشيء بل تربط صورة سمعية بصورة ذهنية فالعلامة اللسانية عند سوسير لا نجد فيها على سبيل المثال اسم " شجرة " وانما صورة سمعية " شـــ - جـــ - ر- ة " وفي المقابل لا نجد شيء او مرجع كما هو في الواقع وإنما نجد صورة ذهنية او

مفهوم،وعليه نقول ان العلامة اللسانية عند دي سوسير تتكون من صورة سمعية وصورة ذهنية كما سأوضحه في المخطط البسيط الموالي:

الشكل رقم (01): ماهية العلامة اللسانية

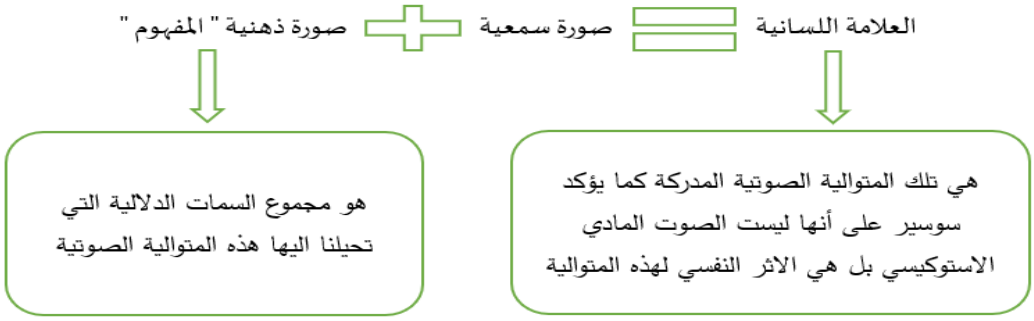

المصدر: من اعداد الباحث

ويمكن توضيح الشكل 01 أعلاه من خلال المثال: كلمة شجرة هي عبارة عن علامة لسانية تتكون من صورة سمعية تتمثل في الادراك والأثر النفسي لتعاقب الاصوات شـــ - جـــ - ر- ة والمفهوم وهو الصورة الذهنية والسمات الدلالية التي توحي بها هذه الكلمة "أوراق – جذع – أغصان" الى غير ذلك من الدلالات الموازية للصورة المتكونة في أذهاننا، ثم استبدل سوسير بعد ذلك "الصورة السمعية" بـــ "الدال" والمفهوم بـــ"المدلول" وما تجدر الاشارة اليه هنا هو ان الصورة السمعية وحدها لا تكون علامة الانها مجردة كما ان السمات الدلالية إذا عزلناها عن الالفاظ التي تعبر عنها لا تشكل علامة لسانية.وفي هذا السياق يقول دي سوسير: "العلامة اللّغوية هي الوحدة اللّسانيّة المكونة من عنصرين بينهما كمال الاتصال فهما كوجهي الورقة يسمى أحدهما دالاً وهو الصورة السمعية التي يتضمنها الدليل أو العلامة ويسمى الثاني مدلول وهو المتصور، فالعلامة اللّغوية ليست الدال وحده أو المدلول وحده، وإنما هما معاً أو لا تكون (لوشن، 2000، الصفحات 308-309). وعليه نقول ان هذان العنصران شديدا الارتباط ويستلزم أحدهما الآخر. وهذا يقودنا الى ضرورة التساؤل عن طبيعة العلاقة بين هاذين العنصرين والتي حددها دي سوسير بقوله علاقة اعتباطية، يقول:"تظهر الاعتباطية في أن دالاً معيناً يطابق

مدلولاً معيناً في الواقع، ومن ثم فالعلامة اللّسانيّة هي تقسيم للواقع عن طريق التواضع لا غير فهي بمعنى الاتفاق والاصطلاح، عكس المفهوم العفوي لدى المتكلم الذي يرى العلامة اللسانية كأنها اسم للواقع" (فرديناند، 2008، صفحة 321)، لكن ما المقصود بالاعتباطية؟ يقول أحمد حساني:" إنّ الاعتباطية في العلامة اللّسانيّة في نظر دي سوسير غير معلّلة بالنسبة للمدلول الذي لا تربطه به أية علاقة في الواقع" (حساني، 1999، صفحة 04). كما تحدث سوسير عن خاصية الخطية للدال اذ يعتبر اللّغة نظاماً من علامات أو وحدات لغويّة تتعرف كل واحدة منها بالوحدات التي تشترك معها في السياق ومن ثم فإنّ أي وصف دقيق للّغة ينبغي أن يعقد على بيان العلاقات بين الوحدات اللغوية فعناصر الجملة او وحداتها تنتظم معا في سياق أفقي متدرج زمنياً يجيء كل عنصر أو وحدة منها فيعقب الآخر وهذه العلاقات لا تنعقد فحسب بين الكلمات بل تنعقد كذلك بين وحدات اللّغة الأخرى"الفونيمات والمقاطع والعبارات بل الجمل"، ومن ثم فالعلاقة خطية تتبين هذه الصفة في الدال حيث يمكن تقسيمه إلى أجزاء يأتي كل جزء منها في عقب جزء آخر في تتابع زمني منظم مترابط (عبد الكريم، 1978، صفحة 17). وعليه يمكن ان نجمل صفات العلامة اللغوية كما حددها سوسير "اعتباطية العلامة -خطية الدال - ثبوتية العلامة وتغيرها".

3.4 ثنائية التزامنية والتعاقبية: كانت اللّسانيّات السائدة في القرن التاسع عشر هي اللّسانيّات التاريخيّة، ولم يكن هناك تمييز واضح بين الدراسة الآنية والدراسة الزمانية فاللسانيات الانية (linguistique synchronique) تدرس اي لغة من اللغات على حدى دراسة وصفية في حالة معينة(état de langue) أي في نقطة زمنية اما اللسانيات الزمانية (linguistique diachronique) فتتناول بالدراسة التغيرات والتطورات المختلفة التي طرأت على لغة ما عبر فترة من الزمن او خلال حقب متتابعة في الزمن الماضي (مومن، 2005، صفحة 125). ويتضح مما سبق أن سوسير قد أحدث انقلابا جذريا من خلال

استحداثه منهجا جديدا لدراسة اللغة يختلف عما ألفه اللغويين في الماضي والجدير بالذكر في هذا المقام ان دي سوسير لم يرفض اللسانيات الزمنية ولكنه فقط ألغ ضرورة الفصل بينهما كي لا تدحض النظرة التطورية الوصف الانى وكي تثبت كل واقعة في مجالها الخاص. إن الدراسة الآنية هي دراسة اللغة في فترة زمنية محددة بقطع النظر عن حالتها قبل هذه الفترة وبعدها، فهي إذن وصف اللّغة في نقطة معينة (لوشن، 2000، صفحة 310)، أما المنهج الزماني التاريخي فهو منهج حركي تطوري يهتم بتعاقب الأزمنة لأجل الكشف عن التطورات التي تلحق اللّغة عبر التاريخ، حيث يقول دي سوسير: "الدراسة التعاقبية هي دراسة اللّغة عبر تطورها التاريخيّ وفي صيرورتها التاريخية" (لوشن، 2000، صفحة 311).

4.4 ثنائية العلاقات التركيبية والترابطية:

1.4.4. العلاقات التركيبية: يعرف دي سوسير هذه العلاقة بقوله:" هي علاقات توجد بين وحدات تنتمي إلى مستوى واحد وتكون متقاربة ضمن منطوقة معينة أو عبارة معينة او مفردة معينة، ويمكن لهذه الوحدات أن تدعى كذلك بالمفارقة" (الطبال، 1993، صفحة 36). ويتمثل هذا النوع في العلاقات الأفقية بين الوحدات اللّغويّة ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة. وتُضفي كلّ وحدة معنى إضافياً على الكلّ. وتكون في حالة تقابليه مع بقية الوحدات اللّغويّة الأخرى. ولا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع الوحدات التي تسبقها أو تليها أو معهما جميعاً. وتُسمى هذه الأنساق الخطيّة تراكيب

2.4.4. **العلاقات الترابطية:** يطلق هذا المصطلح على العلاقات الاستبدالية بين الوحدات اللّغويّة التي يمكن أن تحلّ محلّ بعضها بعض في سياق واحد، وبعبارة أخرى فإنها تعكس علاقات موجودة بين علامة في جملة ما وعلامة اخرى غير موجودة في الجملة أصلاً بل موجودة في أذهاننا طبعاً، وقد أطلق دي سوسير لأوّل مرّة في تاريخ اللّسانيّات عبارة

الترابطية على هذه العلاقة. اما العلاقات الترابطية وتسمى كذلك العلاقات الاستبدالية تقوم على اساس ان الكلمات تكون مجموعات تحكمها علاقات متعددة (غلفان، 2010، صفحة 264).

كانت هذه أهم الثنائيات اللغوية التي أسس عليها دي سوسير نظريته اللسانية البنيوية والتي مكنته من تحديد موضوع علم اللغة بدقة عالية الوصف التي أقامها على منهج جديد تجاوز كل الدراسات التقليدية السابقة بما فيها الدراسات التاريخية والمقارنة.

5. خاتمة:

يعد مصطفى غلفان باحث لساني عربي نموذجا يحتذى به لكل باحث عربي متخصص وغير متخصص، حيث أسهمت مؤلفاته إسهاما مميزا بما قدمته من إضافات للدرس اللغوي العربي داعمة جهوده في تقريب الفجوة بين اللسانيات الحديثة والقارئ العربي.وهذا ما يؤكده الباحثان من خلال هذه الورقة البحثية بعد دراسة كتاب "في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها"مستدلين عن ذلك بجملة من النتائج المهمة التي يمكن ان نوجزها في النقاط الاتية متخذين من بساطة الفكرة وعمق المعنى سبيلا للاقتداء بالدكتور"مصطفى غلفان":

– قدم مُؤَلِف الكتاب عرضا مختصرا عميقا لأهم القضايا المتعلقة باللسانيات في صورــتها العامة.

– فصل في ذكر التحولات المنهجية التي عرفها الفكر اللغوي بعد المنهج التاريخي مبينا أهم المراحل التاريخية التي مر بها تطور الدرس اللغوي اذ تعد "**المرحلة التوفيقية** "بروافدها الثلاثة " هندية – يونانية – عربية اسلامية" اهم مراحل الفكر اللغوي التي حاولت التوفيق بين البحث في اللغة وقضايا أخرى.

– قدم الكتاب تفصيلا واضحا عن ثنائية "اللسان / اللغة" لما تحمله هذه الثنائية من أهمية منهجية في تأسيس اللسانيات وعلميتها كما تعد اللسانيات المقارنة أسبق من

اللسانيات التاريخية وكل منهما يهتم باللغة بمنهج خاص كما قدم الكتاب كذلك جملة من المفاهيم الاساسية في التحليل اللساني البنيوي المُتَبع في المدارس اللسانية المختلفة.

– حرص على تقديم أفكاره مراعيا شرط البساطة واليسر في العرض حتى لا يتسبب في تشتت ذهن القارئ وحتى يتمكن من اكتساب حمولة معرفية تساعده على التعمق.

– الابتعاد بالقارئ عن التأويلات الخاطئة للأفكار والتصورات اللسانية والكف عن الربط بين المفاهيم والمصطلحات اللغوية المستعملة في الدرس اللغوي القديم حتى يتم ضبط السياقات التاريخية والمرجعيات والعوامل المؤدية اليها .

– قدم اشارات واضحة الى العديد من مظاهر الخلط في بعض الكتابات العربية "اللسانية " فيما تعلق بنوع المادة المقدمة او فيما يتعلق بالمصطلحات المستعملة.

– يعود تاريخ اللسانيات إلى سنة "1833م" وتعتبر اللسانيات علما فريدا من نوعه يحمل استمرار لمراحل لغوية سابقة متمثلة في النحو الفيلولوجيا والنحو المقارن وفي الوقت ذاته قطيعة منهجية.

– واجه "مصطفى غلفان" بعض الصعوبات في تحديده لتعريف اللسانيات لاختلاف المناهج والأهداف من دراسة اللسان البشري كما تختلف اللسانيات عن الفيلولوجيا والنحو وفقه اللغة.

– موضوع اللسانيات الحقيقي هو دراسة اللغة لذاتها ومن اجل ذاتها كما تتمثل مادتها في الاهتمام بجميع مظاهر الكلام البشري.

– للتحليل اللساني البنيوي عدة مفاهيم يقوم عليها كالبنية والبنيوية والبنائي والبنيوي.

– يحظى الكتاب بقيمة فكرية وعلمية اذ يعد اهم المصادر اللغوية في العصر الحديث والمعاصر ساهم في تقديم صورة واضحة عامة عن اللسانيات وأهم قضاياها وأعلامها ناهيك عن عرض وجهات نظر الاتفاق والاختلاف حول القضايا والنظريات اللسانية.

– يحظى الباحث بين ثنايا الكتاب بمكتبة ثرية بين عناوين مصادر ومراجع عربية وأجنبية يمكن الاطلاع عليها والرجوع إليها.

6. قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

لوشن، ن. الهدى. (2000). *مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي*. المكتبة الجامعية الإسكندرية.

سعيدي، أ. (2019). *مصطفى غلفان وجهوده في تقديم اللسانيات للقارئ العربي*. مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، المجلد 03، العدد 05، 139-148.

حساني، أ. (2013). *مباحث في اللسانيات. نشر كلية الدراسات الإسلامية والعربية*، دبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الثانية.

قدور، أ. (2008). *مبادئ اللسانيات*. دمشق: دار الفكر، الطبعة الثالثة.

مومن، أ. (2005). *اللسانيات: النشأة والتطور*. بن عكنون: ديوان المطبوعات الجزائرية، الطبعة الثانية.

الطبال بركة، ف. (1993). *النظرية اللسانية عند رومان جاكوبسون: دراسة ونصوص*. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

بارتشت، ب. (2004). *مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي* (ترجمة: س. ح. بحيري). القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

عبد العزيز، ح. (1991). *اللسانيات العامة واللسانيات العربية. مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية*، منشورات دراسات سال، الطبعة الأولى.

زبير، دراقي. (1992). *محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

دي سوسير، ف. (2008). *محاضرات في علم اللسان العام* (ترجمة: ع. قنيني). أفريقيا الشرق، المغرب.

العلوي، ش. (2004). *محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة*. بيروت: أبحاث للنشر والترجمة والتوزيع، الطبعة الأولى.

عبد الجليل، ع. (2002). *علم اللسانيات الحديث*. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

المرابط، ع. (1978). *مدخل إلى اللسانيات*. الكويت: جامعة عبد الملك السعدي، الطبعة الأولى.

غلفان، م. (2010). *اللسانيات العامة تاريخيًا وطبيعتها وموضوعهاومفاهيمها*. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى.

روبنز، ر. ه. (1997). موجز *علم اللغة في الغرب* (ترجمة: أ. عوض). المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

جرما، ن. (1978). *أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة*. الكويت: المجلس الوطني للفنون والثقافة والأداب، الطبعة الأولى، سلسلة عالم المعرفة، العدد 9.

كريدية، ه. (2008). *أضواء على الألسنية*. بيروت: مكتبة نرجس.